دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ
ISSN 1813-7733
المجلد الثالث, ديسمبر 2006م (ص115-122)

التربية العقدية والخلقية في أدب الأطفال

د. محمد عبد الصمد*

المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم، وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد :

فقد نال الأطفال اهتماما كبيرًا ، واحتلوا مكانة رفيعة في وجوب العناية بهم ، ورعاياتهم، وتربيتهم وتوجيههم في المنهج الإسلامي، لأنهم جيل المستقبل يحملون رسالة العقيدة الإسلامية، ويؤدون واجبهم تجاه الدين الحنيف . وفي القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة نصوص كثيرة تهتم بالطفولة في التربية والتعليم؛ تهيئة للمستقبل.

والأدب في حياة الإنسان عنصرٌ مؤثر، وله أثرٌ كبيرٌ في توجيه تربوي، فعلى المربّي أن يهتم بما يقدمه للطفل من أدبٍ بأنواعه المختلفة، وأن يُعنى أشد العناية بالشكل والمضمون، الذي يتضمن موضوعاً خيّرًا يدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها ، ويُلبسه القيمَ الجمالية الفنية المتمثلة في الأسلوب الشيّق، والألفاظ العذبة السهلة، والعبارة الرقيقة، والصورة القريبة، وكل ذلك مطلوب إلى جانب المناسبة والملاءمة، والدخول إلى نفوس الطفل ومشاعره، ومعرفة حاجاته ورغباته، وما يدور في نفسه. وما يتفق مع ميول الطفل، فإنه يُقبل عليه أو يرفضه، وما يرضاه أو يأباه يؤثر في عواطفه، وينتقل إلى جوارحه، وما يدفعه أو يثبطه ما ينمّي روح البحث والتفكير والعمل، ما يبني فيه كيانه الصغير، ما يوجّه فيه وجدانه وسلوكه، ما يعمّر قلبه من طمأنينة ومحبة، ما يُربي فيه التذوق للجمال، والنفور من القبح، ما ينقي فكره وعقله وقلبه وجسده.

وإذا استطاع الأديب أن يقدّم الأدب النافع المتوازن في استخدام هذه الأدوات دون الإخلال بالتناسق، فقد حقق رسالته، وتمكن من جذب الأطفال إلى مائدته، وبذلك تتحقق للطفل الفائدة والسعادة والمتعة، وتتحقق لأمته الثقة، والاطمئنان في المستقبل والوفاء بالمسؤولية.

وإذا كان الآباء يهتمون بالغذاء النافع المفيد لبناء أجسام أطفالهم، فعلى الأدباء مسؤولية تقديم الأدب المتكامل للأطفال، ذلك الأدب الذي يبعث المتعة في النفس، والراحة في القلب، والخيال في الذهن، والتفكير في العقل، وصدق الشعور في القلب، وإذكاء المشاعر وتنمية الوعي بالذات وبالمجتمع .

المراد بأدب الأطفال :

أدب الأطفال الذي نعني به هو مثل ما قاله الدكتور علي الحديدي[1] : " وسيلة من وسائل التعليم والمشاركة والتسلية، وسبيل إلى التعايش الإنساني، وطريق لمعرفة السلوك المحمود، وأداة لتكوين العواطف السليمة للأطفال، وأسلوب يكتشف به الطفل مواطن الصواب والخطأ في المجتمع، ويقفه على حقيقة الحياة، وما فيها من خير وشر ".

الهدف من أدب الأطفال :

فقد عبّر الدكتور علي الحديدي عن الهدف المنشود الذي يُهدَف إليه من أدب الأطفال، والذي يتحلّى بالمضمون والشكل معاً ؛ وذلك أن المضمون وحده كما لا يكفي فكذلك القشرة الذهبية دون المضمون المعنوي لا تُجدي بفائدة، ولا تنشئ أجيال المستقبل المرجوّة، حيث قال[2] :

"ومهمة الأديب الذي يُكتب للأطفال لا تقف عند العرض والكشف، بل مهمته فوق ذلك تقوية إيمان الطفل بالله ثم الوطن والخير والعدالة الإنسانية وحتى لا يخدع الطفل حين

---

* المحاضر في قسم الدعوة والدراسات الإسلامية, الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ, بنغلاديش .

يواجه الحياة، يجب على الكاتب أن يصوّر له الشرَّ والظلم والاستغلال بصورها الموجودة في المجتمع ، تسير جنباً إلى جنبٍ مع الحق والخير والعدالة ".

وعلى ما سبق من الكلام فإن الحديث عن القيم الفنية والموضوعية في أدب الأطفال لا ينفصل عن الحديث عن أهمية التربية العقدية والخلقية، وإرساء مبادئها في نفس الطفل.

وبما أننا نعلمه من مدى تأثير الأدب بأنواعه المختلفة في نفوس الناشئة، فإنّ تأثيره في غرس المبدأ، وتنمية السلوك وتوجيهه عظيم ومؤثر.

اختيار الموضوع المناسب لأدب الأطفال :

ولا شكّ في أنّ المهمة الملقاة على عاتق الأديب في هذا الميدان أصعب من غيرها، للوقف والحال، ولأنه يحتاج إلى الدقة في اختيار ما يناسب مشاعر الطفل، وما يستوعبه

عقله، مع مراعاة الوضوح في النماذج التي تُقدَّم إليه، فينبغي أن يحمل الأدب بعض الأفكار الدينية التي قد يحتاج إليها الطفل، أو يكثر السؤال عنها بالوضوح التام، والبيان السهل؛ لتتضح في ذهنه ويستوعبها الطفل بكل سهولة، ومن غير تعبٍ وجَهْدٍ .

وهذا يتطلب من الأديب أن يتمتع بدراية حاجات الطفل، ويقدّمها له في أسلوب سهلٍ ويُسرٍ، ويسلك مسلك الرفق في الإجابة عن تساؤلاته الملحة حول الأفكار؛ لأن الرفق، والرقة، والهدوء، والتوازن وعدم التناقض، والدراية الكافية بحاجات الطفل، وإمكاناته وقدراته، وحدود أفقه، كل ذلك يجعل الأمر سهلاً ميسرًا ، ومؤثرًا في الناشئ.

آراء بعض المربّين في تقديم الأفكار الدينية للأطفال :

ذهب بعض المربّين إلى أنّ تقديم الأفكار الدينية في السنّ المبكّرة ضارٌ. وممّن يرى ذلك الدكتور علي الحديدي، بل يرى هو: أنّ ذلك قد تأتي بنتيجةٍ عكسية[3] .

ويرى الدكتور علي الحديدي في حديثه عن العقيدة والأخلاق في أدب الأطفال أنّ الذين يتخذون أدب الأطفال وسيلة لغرس العقيدة الدينية خاصة في قلوب الطفل فإنه يجب لهم أيضاً أن يجعلوه وسيلة لاحترام الأديان الأخرى، وعدم الكراهية للأديان المخالفة لعقيدته، بل أن يقوموا فيه بتصوير جميع الأديان على أنها من عند الله، واختلاف الناس فيها كاختلافهم في جنسياتهم ولغاتهم، إذ يقول[4]:

> "والذين يتخذون أدب الأطفال وسيلة لغرس عقيدة دينية خاصة في قلوب الناشئة، يجب أن يتخذوه أيضاً وسيلة من وسائل احترام الأديان الأخرى، وأن يتحولوا عمّا كان يحدث قبلاً من تعميق الكراهية للأديان المخالفة لعقيدته، أو الاستخفاف بها وازدرائها، وألاّ يتعرضوا في مراحل الطفولة المبكرة إلى المقارنة بين الأديان، أو إظهار الفروق بينها، بل تُصوّر جميعها على أنها أديان من عند الله، ويختلف فيها الناس كما يختلفون في جنسياتهم ولغاتهم" .

الردّ على من أنكر تقديم الأفكار الدينية للطفل :

لا يمكن الموافقة على رأي الدكتور علي الحديدي المذكور، ومن سار على نهجه . وكيف يمكن أن يبيح أحدٌ لنفسه الموافقة على هذا الرأي؟ فإنّ الناشئ كالطين المهيّأ للنقوش والكتابة فيه ، فما يُكتبُ عليه يبقى أثره بحيث لا يُزيلُه الدهر ، ولا يمحوه مرّ العصور، ولا يندثر بضرب الريح الشديدة الأثر، وبعبارة أخرى فإن ذهن الطفل كالمكان الفارغ الذي يملأ به هواء خارجيٌّ، إن لم يكن بالداخل هواء ، فلا يتركه فارغاً ، فكذلك إن لم تمل على الطفل ما يربّيه وينشئ فيه مدارك المسؤولية والسلوك والاعتقاد والمبادئ ومشاعره تجاه ذاته ومجتمعه وأمّته ، فإنه لا بدّ أن يمتلئ هذا الفراغ بما قد يكون لذاته ومجتمعه سببٌ للضرر، والفشل الكبير.

ولا شك في أنّ الدكتور علي الحديدي يناقض نفسه مناقضة تامّة، فهو بقوله ذلك لا يريد الكشف عن الحقائق، وتصوير الحياة كما هي بما فيها من خيرٍ أو شرٍّ أمام الطفل، وهذا يناقض قوله حين دعا إلى ذلك عند حديثه عن الاهتمام بالطفولة، حيث طالب بعدم خداع الطفل قائلاً[5]:

" ... وحتى لا يخدع الطفل حين يواجه الحياة، يجب على الكاتب أن يصوِّر له الشرّ والظلم والاستغلال بصورها الموجودة في المجتمع تسير جنباً إلى جنبٍ مع الحق، والخير، والعدالة ".

ولكننا نجد في النص السابق له أنه يعود ليخدعه بمقولته هذه التي تبين أن الاختلاف بين الإسلام وبين الأديان الأخرى إنّما هو اختلاف شكليّ، كما يختلف الناس في جنسياتهم ولغاتهم .

ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل إنّ خطر هذا القول عظيمٌ، وشرّه مستطير، وعاقبته وخيمة، وذلك أنّ الطفلَ إذا رُبِّيَ على هذا الاعتقاد، والأفكار، والسلوك فإنّه لن يتحرّج في حياته المستقبلية في أن يكون يهودياً ، أو نصرانياً، أو بوذياً، أو هندوكياً وغير ذلك من الأديان الباطلة؛ لأنّه سيعتقد اعتقادًا جازماً بأنّ الأديان واحدة من عند الله ، وأنّ له بالإمكان تغييرها كالملابس، أو الإعجاب بأحدها، كإعجاب أحدنا بطعام أو شراب أو غير ذلك مما للإنسان فيه إرادة واختيار.

وهذا الرأي والاتجاه لا يمكن أن يكون مقبولاً ، بل ليس بصحيح إطلاقاً؛ فإنّ الأديان ليست بهذه الصورة التي صوّرها الدكتور علي الحديدي، ويجب أن لا تُقدَّم الأديان للطفل المسلم بهذا الشكل والصورة، فالخلاف بين الإسلام وغيره من الأديان ليس خلافاً ذوقياً أو مزاجياً، إنما هو خلاف جوهريّ بين الحق والباطل، وبين الصحيح والزائف، فالناس لا يختلفون في الأديان كما يختلفون في اختيار ملابسهم وأذواق طعومهم ومشاربهم، وقد بيّن الله سبحانه وتعالى للناس أن الدين عند الله الإسلام، وأنّ الأديان الأخرى قد زُيِّفت، وحَرَّفتْ فئةٌ من أتباعها كلامَ الله، واشترت به ثمناً قليلاً، ولا يعني هذا إظهار العداء لهذه الأديان في أصول تنـزيلها، فحقيقة هذه الأديان أنها مبلغة للأنبياء عن ربّ العزّة، ولا مجال للطعن في ذلك، والإسلام لا يفرِّق بين الرسل ؛ لأنهم جميعاً أرسلوا بدين توحيد الله، أما التزييف والتحريف فقد حصل بعد ذلك من أتباع هذه الديانات . قال الله سبحانه وتعالى:

{ **إنّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُم وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. فَإنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإنْ تَوَلَّوْا فَإنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** }[سورة آل عمران، الآيات:19- 20]. وقال تعالى أيضاً : { **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** } [سورة آل عمران، الآية : 85].

إذن ما دعا إليه الدكتور علي الحديدي من إملاء الطفل بعدم الفروق بين الأديان ليس صحيحاً، فلا ينبغي أن يكون هذا منهج التعليم للأطفال والناشئين ؛ فإن هذا الموضوع أصلٌ مزيجٌ بذات الإنسان وطبعه ، فالتوضيح في مسألة الدين والعقيدة مطلب ضروري في توجه الطفل، واستقرار عقيدته، وإلاّ ستكون نهاية الطفل المسلم الحيرةَ ، وعدم تبيّن منهج الحق ، وبذلك نكون قد نفّذنا خطط أعداء الإسلام ، وخَالَفْنَا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم في توجيهه التربوي السليم ، حيث إنّه صلّى الله عليه وسلّم رأى أحدَ الصحابة رضي الله تعالى عنه يحمل بين يديه كتاباً من كتب أهل الكتاب ، فقال عليه الصلاة والسلام : " أمتهوّكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى"[6].

وهذا هو المنهج التربوي السليم الذي فيه تركيزٌ وتوجيهٌ على المبدأ الحق، من غير حيرةٍ ولا اضطرابٍ .

ولو دعا الدكتور علي الحديدي إلى أن يقتصر الأدباء والقائمون على التربية على غرس العقيدة الدينية، والتركيز عليها دون العرض للأديان الأخرى، لكان في ذلك فائدة؛ لأنّ التوزيع وعدم التركيز يؤدي إلى التشتت، كما أن المقارنة بين الأديان فيها من التعمق ما يصعب على أصحاب التخصص الدقيق، فكيف نعرضها على الطفل الذي يستوعبها عقله الصغير ؟

ونجد عند الأديب المشهور نجيب محفوظ موقفاً مثل موقف الدكتور علي الحديدي في عرض الأديان بصورة الحيرة والارتباك عند الطفل، ويتضح لنا ما ينقل نجيب محفوظ وجهة نظره عن الأديان عن طريق نموذج لطفلة تسأل أباها عن سبب كونها مسلمة، وصديقتها مسيحية ؟ فأجاب الأبُ بنتَه لإقناعها مرّةً بأنّ أباها مسلمٌ، وأمّها مسلمة، ولذلك هي مسلمة . ووالد صديقتها مسيحيّ، ووالدتها مسيحية، ولذلك هي مسيحية . ومرّةً أخرى يقول بأن بنتها أحبّت آخر موضة، وهي الإسلام، ولذلك هي مسلمة . وصديقتها تحبّ موضة قديمة، وهي المسيحية، ولذلك هي مسيحية. ومرّةً ثالثة يقول الوالد بأن المسألة مسألة ذوق . ولكن يجب أن يبقى كلّ واحد على دين أَبَوَيْهِ ، ومن هنا هي مسلمة ، وصديقتها مسيحية . وكلّ دينٍ حسنٌ جيّد؛ لأنّ الدين كلّه يأمر بعبادة الله[7] .

الردّ على صاحب هذه الفكرة :

هل في هذه الإجابات الثلاث التي أتى بها الوالد ليُقنع بنتَه ـ لماذا هي مسلمة. وصديقتها مسيحية؟ ـ شيءٌ من الإقناع أو توجيه في الحقيقة ؟ أو أنّها تهرّبٌ وتضليلٌ يؤديان بالطفل إلى الارتباك والحيرة ؟ وهل الدين موضة وذوق وإرث؟ وهل هذه الأسئلة الفكرية تُقدَّم للطفل بهذا الشكل المضطرب؟ وبخاصةٍ أن ما يُقدّم للأطفال يبقى في أذهانهم مدى الحياة، كما يقول علماء النفس . قال محمد فهمي عبد اللطيف : " الغضة التي تتقبل كل شيء وتتشبع به، فتبقى الصور والدلائل التي تحملها راسخة في تلك الأذهان على مدى الحياة، حتى إذا ما تخلى عنها العقل الظاهر في فترة من فترات الحياة، فإنّها تظلّ مرتبطة بما يسميه علماءُ النفس بالعقل الباطن، فتؤثر في سلوك الإنسان على غير وعي منه ؛ لأنه تأثير ترسّب في ما وراء الشعور"[8] .

الدعوة إلى التربية العقدية والخلقية في أدب الأطفال :

فالعقل السليم لا يُسلّم هذه الطريقة المضطربة التي تدفع الأطفال إلى الحيرة وعدم تبيّن الحق في مثل هذا الموضوع الأصيل لديهم . ومع ذلك نحن ندعو إلى توجيه الطفل إلى أدب المعاملة الإسلامية مع من يخالفونه، لما في ذلك من فائدة كبيرة عظيمة . فوجوب المعاملة الحسنة، بالكلمة الطيبة، وعدم الاعتداء، والصدق والوفاء، والمحافظة على العهود والمواثيق، والزيارة ولطف المعاملة، كل ذلك من صفات المسلم الحق، وبهذا نتوجه بالطفل إلى الطريق القويم الذي هدانا الله تعالى إليه .

أما التفريق بين الدين الإسلامي والأديان المخالفة، فليس تعميقاً للكراهية، بمقدار ما هو توضيح لمنهج عقديٍّ إيمانيٍّ، وعدم إلباسه ثوب النفاق والرياء، وتبيان ما فيه من اختلاف بين حقٍّ وباطلٍ وصحيح وزائفٍ، وما ينفع الإنسان في دنياه وآخرته، وما يضره ممّا هو خطر عليه، وما لا يضرّه مما فيه من مصلحته.

ويبقى لأهل الأديان الأخرى المخالفة للدين الإسلامي حرّيتهم، فهم على دينهم، كما قال سبحانه وتعالى :

{ لا إكراهَ في الدين قد تبيّنَ الرشدُ من الغيِّ }. [سورة البقرة، الآية : 256]. وأيضاً قوله عزّ وجلّ : **{ ادعُ إلى سبيلِ ربِّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادِلهم بالتي هي أحسن }**. [سورة النحل، الآية : 125]

وقد عاش اليهود والنصارى تحت قبة الدولة الإسلامية آمنين مطمئنين، وهذا ما يجب أن يفهمه أطفالنا .

وإذا كان الإسلام دين الفطرة، فإن الطفل بفطرته يميل إليه، وما على الأديب إلاّ أن يراعي حاجات الأطفال واستعداداتهم وميولهم، وأعمارهم الزمنية والعقلية .

ولا شكّ في أن التدرج الذي هو أسلوب الإسلام سيؤدي بالطفل إلى أن تنمو هذه العقيدة في قلبه وفكره نموًا طبيعياً لا اضطراب فيه ولا تشويه .

ومن مجال ذات الطفل نبدأ معه، ومع حليب الرضاعة يبدأ امتصاص رحيق العقيدة قطرةً قطرةً، ثم نتوسع في الدائرة من حوله شيئاً فشيئاً، إلى أمه وأبيه وإخوته وأقاربه وجيرانه، ثم إلى الناس جميعاً، وإلى ما يقع تحت حواسه: من موجودات جامدة ومتحركة، وما يملأ هذه الطبيعة من مظاهر مختلفة، وهذا الكون البديع الذي هو صنع بديع السماوات والأرض .

والطفل عضو في هذا كله، وعلينا أن نبيّن له موقعه، ونحدد له ما حوله، وعليه أن يعامل ويتعامل، وأن يفهم ويتدبّر ؛ لأن " التربية السليمة هي تلك التي تسير بالإنسان ـ وبخاصة في بدء تكوينه التربوي والتعليمي ـ في اتجاهٍ واحدٍ صحيحٍ نقيٍّ، ولا تلقي به في متاهات الأفكار الغربية والنظريات السقيمة "[9] .

وعلى الأدباء أن يركّزوا الجرعة الإيمانية، وأن يضعوا الضوابط لبعض المفاهيم السائدة، حتى لا يشعر الطفل بالضياع والارتباك، وسوء الفهم والتقدير، من ذلك : الحرية والمسؤولية، والحلال والحرام، والخير والشر، والعيب والذوق، وما يجب وما لا يجب، كل ذلك بأسلوب رقيق، يأخذ في حسبانه الفئة التي يخاطبها .

ومن ذلك كله نَخلُصُ إلى أنّ ما يُقدَّم للطفل " يجب أن يتفق مع منهج الإسلام العقائدي والأخلاقي والتشريعي والاجتماعي "[10] .

وباستعراض مناهج المفكرين والتربويين الإسلاميين نجد تأكيدًا على ذلك كلّه، كي تنشأ شخصية الطفل وهي تتمتع بتميزٍ واستقلالٍ ووضوح.

فينبغي للأديب البنَّاءِ أن يهتمَّ بأدبه بالأطفال تربيةً وتعليماً حسب طبيعة المجتمع ومقتضاه. فالمجتمع الإسلامي يقتضي من المربّين والمعلّمين والاجتماعيّين العناية المركّزة في تنشئة جيل المستقبل، وتربيته على أساس عقيدة المجتمع، وعاداته وتقاليده وثقافته، فالطفل أوّل لبنة هذا المجتمع، فينبغي أن تكون تربيته على أنه قد حمل الإيمان الكامل والاعتقاد الجازم في عبادة الله تعالى وحده دون ما سواه، وتحلّى بالأخلاق الفاضلة، ووَعَى بالمسؤولية، والأمانة والصدق، ومحاسبة النفس، ومراقبته لله تعالى في السرّ والعلن، وأحسَّ بأنه سوف يُحاسَب عند الله عن كل صغيرةٍ وكبيرةٍ قد عملها في هذه الدنيا الفانية .

فالأديب يتّخذ أدبَه وسيلةً قويّةً وملائمةً لغرس هذه العقيدة، والخلق والسلوك في أول مرحلة حياة الطفل ؛ ليتبيّن مسيرُ حياته أمامه، ويستنير طريقه للمستقبل، فيتربّى على هذا المبدأ الفاضل، ويترعرع على ذلك المنشأ الحميد، وينبت نباتاً حسناً لا يزيغ عن ذلك في حين من الأحيان، ولا يعدل عن سبيله إلى السُبُل فتفرّق به عن الطريق السويّ في لحظةٍ من لحظات تقدّم العمر، فيكون على بصيرةٍ تامّةٍ في دينه الحق، والفروق الجوهرية بينه وبين سائر الأديان الباطلة، وماذا ينبغي له من موقف حازمٍ تجاه الإنسانية كإنسانٍ بغضّ النظر عن دينه وجنسه وبلده .

وهذا ما نجد في القرآن الكريم حيث بيّن الله سبحانه وتعالى منهج تربية الأطفال والأولاد على لسان العبد الصالح[11] لقمان الحكيم الذي أعطاه الله تعالى العلم والفهم والحكمة والتعبير، قال الله سبحانه وتعالى :

{ ولَقَدْ آتَيْنَا لُقْمانَ الحِكْمَةَ أن اشْكُرْ للهِ وَمَنْ يَشْكرْ فإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِه وَمَنْ كَفَرَ فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَميدٌ. وَإذْ قَالَ لُقْمانُ لابْنِه وَهُوَ يَعِظُه يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ باللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.

وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ في عَامَيْنِ أن اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أو فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ. وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ. [سورة لقمان، الآيات: 12 - 19].

تضمّنت هذه الآيات الكريمة المعاني العالية والفوائد العظيمة التي تربّي الأطفال على الهدف المقصود والغاية المنشودة، وتوجّهم إلى الهمَم العالية والأخلاق الفاضلة التي ينبغي أن ينشأ الأطفال عليها متحلين بالعقيدة الصحيحة النقية، والمبادئ الفاضلة، والمكارم الأخلاقية، وتلك المعاني هي :

شكر لقمان ربّه على ما وهبه من حكمةٍ، وسوف يجزيه على هذا الشكر؛ لأنّه اعتراف بالنعمة. أما الذين ينكرون فضل الله تعالى عليه فالله سبحانه ليس بحاجة إلى حمدهم.

ثم نصح لقمان الحكيم طفله بالنصائح النافعة، وهي :

- أن لا يُشرِكَ بالله تعالى؛ لأن الشرك ظلمٌ عظيمٌ . فكيف نسوّي بين مَنْ يُنْعِم على عبده ومن لا يقدر على أن يُنعِمَ عليه.
- أن يُحسنَ معاملة والدَيْهِ ويطيعهما في المعروف، فقد تحمّلت الأم كثيرًا من الآلام في حمله ورضاعه. وعمل الأبوان معًا على راحته وسعادته، وعليه أن يشكر الله تعالى على نعمه أوّلاً، فإليه المرجع، ومع شكره لله تعالى عليه أن يشكر والديه اعترافاً بفضلهما عليه.
- أن لا يطيع الابن والديه في معصية الله عزّ وجلّ، أو الإشراك به مهما كان لهما من الفضل عليه، فحق الله تعالى مقدّم على حق الوالدين، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن يسلك في دينه مسلك المؤمن، لا سبيل والديه، ولكن يستمرّ في مصاحبتهما وبرّهما.
- أن يؤمن بقدرة الله المطلقة الواسعة، وعلم الله المحيط بكل شيء حتى أدق الأشياء في أخفى المواطن، ولهذا يعلم الله سبحانه كل ما يقع من معصية وسيحاسب عليه .
- أن يؤدّي الصلاة كاملةً، وأن يأمر نفسه وغيره بما أمر الله به، وأن ينهى عمّا نهى الله عنه. وأن يصبر على ما أصابه من مكروه، فذلك دليل العزم الشديد الإرادة القويّة .
- أن يتواضع مع الناس جميعاً، ولا يتعالى عليهم، ولا يمشي متكبّرًا؛ لأنّ الله سبحانه لا يحبّ الفخور بنفسه .
- وأن يعتدل في مشيه، فلا يبطئ ولا يسرع ؛ لأنّ في الاعتدال وقارًا للمؤمن .
- وأن يخفض من صوته في أثناء حديثه ؛ لكيلا يكون صوته أشبه الأصوات المنكرة.

كما نجد في هذه الآيات كثيرًا من النصائح النافعة والوصايا الثمينة التي حكاها الله عزّ وجلّ عن لقمان الحكيم ؛ ليتّبعها الناس ويقتدوا بها، وقدجاءت تلك الوصايا على الوجه التالي :

- منها ما يتصل بالله سبحانه وتعالى: ضرورة الإيمان به وحده ولا شريك له، وإفراده بالعبادة، والإيمان بقدرته الواسعة، وعلمه المحيط بكل شيء، والالتزام بأوامره ونواهيه .
- ومنها ما يتصل بالوالدين الذين حقهما بعد حق الله تعالى : فقد حثّت الآيات على طاعة الوالدين وبرهما إلا في معصية الخالق، وقرنت شكر الله تعالى بشكر الوالدين؛ اعترافاً بفضلهما على الأولاد .

- ومنها ما يتعلق بالخلق الحسن والسلوك الاجتماعي : فقد دعت الآيات إلى التواضع وترك الكبر، والاعتدال في السير، وخفض الصوت أثناء الحديث والمعاملة مع الناس .

كل هذه المعاني الطيبة والتعليمات المفيدة، والدروس المهمّة في باكورة حياة الطفل ومرحلته الابتدائية يحملها التعبير القرآني بصورة أدبيّةٍ فائقةٍ تملأ القلب والعقل . فألفاظه ومفرداته مختارة منتقاة، وتراكيبه محكمة قويّة، وتعبيره الجميل عالٍ دقيقٍ ، وأسلوبه عذبٌ مرنٌ، وموسيقاه الخفيّة تهزّ القلب والسمع في نسقٍ يعجز عنه البشر . فالمقتضيات الأدبية واللوازمات الجمالية والصور البلاغية متوفرة بحيث لا يجاريها أحدٌ من البشر .

الخاتمــة :

وأخيرً أقول وأؤكّد أن المجتمع الإسلامي في أمسّ الحاجة إلى مثل (أدب الأطفال) الذي يلعب دورًا فعّالاً في بناء أول لبنة للمجتمع، ويربّيه تربية تؤهله للمستقبل لحماية العقيدة الصحيحة وصيانتها من أدران الشرك وشائبة الكفر والضلال، وتنير له الطريق المستقيم، وتوجهه إلى أداء الأمانة والمسؤولية تجاه المجتمع والأمة بالصدق، والإخلاص، فيجد الطفل أمامه المحجة البيضاء النقية الصافية في عقيدته وخُلُقه وسلوكه، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاّ هالك أو زائغ.

أما إذا تربّى الطفل على الحيرة والشك وعدم الوضوح في عقيدته، ومبادئ حياته وأخلاقه التي يكثر السؤال أو التساؤل عنها عند الطفل ـ كما ذهب إليه بعض المربّين والمتخصصين في تربية الأطفال ـ فإنه يكون ضائعاً تائهاً، لا عقيدة له، ولا مبدأ حياته، ولا خُلُق، ولا عزيمة، ولا مسؤولية، بل يكون كالمعوّقين والأشلاء خِلْقةً وخُلُقاً يعولون على عاتق المجتمع، ويعيشون على حساب الآخرين، ومِنْ ثَمَّ يتكوّن المجتمع من مثل هؤلاء المتعطّلين مجتمعاً فاشلاً سائغاً للآكلين، ولقمةً سهلةً للأعداء المفترسين .

ويكون ذلك كله مراعياً للأدب بأنواعه المختلفة مع العناية بالشكل والمضمون والأساليب الأدبية بكل صورها وأشكالها، حتى يكون الأدب لدى الطفل متعة وشيّقاً يبعث في النفس الراحة والاطمئنان .

والله عزّ وجلّ أسأل أن يهب للأدباء والمعنيّين الفهم الصحيح والعلم والحكمة بأن يقدّموا للأطفال من الأدب الذي فيه خير وصلاح، وتربية حسنة لهم، وللمجتمع الإنساني، وأن يحميهم من التأثير الخارجي الذي يُضلّ كثيرًا عن سبيل الرشاد .

المراجع :

1- د. علي الحديدي ، *في أدب الأطفال له*، القاهرة ؛ المكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة ، (1982م) ، ص: 64 .

2- المرجع السابق .

3- المرجع السابق، ص : 108 .

4- المرجع السابق، ص : 107 .

5- المرجع السابق، ص : 64 .

6- جار الله أبو القاسم الزمخشري، *الفائق في غريب الحديث* ، بدون ، ج 3 ص 218 .

7- نجيب محفوظ ، *جنة الأطفال من مجموعة خمارة القط الأسود*، بيروت؛ دار القلم، الطبعة الأولى، (1971م)، ص : 72 - 74 .

8- محمد فهمي عبد اللطيف ، *الحدوثة والحكاية في التراث القصصي الشعبي* ، بدون ، ص : 15 .

9- د. عبد الرزاق حسين، *الإسلام والطفل*، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (1986م)، ص : 49 .

10- محمود سلطان، *مسار الفكر التربوي عبر العصور* ، الكويت، دار القلم، (1976م) ، ص : 61 .

11- الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، *تفسير القرآن العظيم* ، بيروت؛ دار المفيد، الطبعة الأولى، (1983م) ، ج 3، ص : 414 .